الرِّسَـــالة ١٠٣

هلْ مِنْ غَيْر الصليبِ يُوجَدُ خَلاصٌ؟

(Arabic - Is there salvation without the Cross?)

عزيزى القارئ.. حَديثنا اليَومَ مَوْضُوعُهُ: **هلْ مِنْ غَيْر الصليبِ يُوجَدُ خَلاصٌ؟**

ومِنْ رسَالةِ بُولس الرَسُول إلى مُؤمِنِى كولوسِى نقرأ العَدَدَيْن التاسِعَ عَشَرَ والعِشْرِينَ مِنَ الأصْحَاح الأول:

"لأنّهُ فيهِ سُرّ أنْ يَحِلّ كلّ المِلْءِ وأنْ يُصَالِحَ بهِ الكلّ لنفسِهِ عَامِلاً الصّلحَ بدَم صَليبِهِ".[١]

بَعْدَ سقوطِ آدَم وَحوّاء فى العِصْيَان اقتضَى الأمْرُ طرْدَهُمَا مِنْ جَنّةِ عَدْن لعَدَم صَلاحيتهمَا ليَتوَاجَدَا فى مَحْضَر اللهِ كلىّ القدَاسَةِ بَعْدَ أن تجَرّدَا مِنْ ثوْبِ البرّ والقدَاسَةِ. فبدُونهمَا لنْ يَرَى أحَدٌ الرّبّ.. وبُعْدُهُمَا عَنْ مَحْضَر اللهِ يَعنِى المَوْتَ الرّوحِىّ أىْ الانفصَالُ عَن اللهِ.. ولا يَحِقّ للإنسَان المَيّت رُوحِيّاً أنْ يَتوَاجَدَ فى مَحْضَر اللهِ.. لذلكَ عَزَلَ كلّ مِنْ آدَمَ وامْرَأتهُ حوّاءَ نفسَيْهمَا فِى الحَال واختبأ كلاهُمَا فى وسْطِ شَجَر الجنّة إلى أنْ جَاءَ الأمْرُ بطرْدِهِمَا مِنهَا. لمْ يكنْ هُنَاكَ أملٌ ولا رَجَاءٌ فى استعَادَةِ آدَمَ وحوّاءَ لِمَا فقدَاهُ.. فليْسَ لدَيهمَا مَا يُؤهلهُمَا لتبْرير نفسَيْهمَا مِنْ مَعْصيتِهمَا.. كانَ واجبُهُمَا الحِرْصَ على طاعَةِ الوَصيّةِ الوَاحِدَةِ.. التى كانَتْ مَوضُوعَ اختبَارهِمَا ولكنّهُمَا فشَلا.[٢]

فمَعَ أنّ اللهَ طرَدَهُمَا مِنْ جَنّةِ عَدْن لعَدَم صَلاحيتهمَا للتواجُدِ فيهَا بَعْدَ السّقوط الا أنّهُ لمْ يَحْرمْهُمَا مِنْ أملٍ فى العَودَةِ إلى حَضْرتِهِ الإلهيّة.. إذ عَرّفَ آدَمَ ونسلهُ مِنْ بَعْدِهِ لزومَ تقديم ذبَائِح يُسفكُ دَمُهَا.. وبالدَم المَسفوكِ يُمكنُ اقترَابُ الخاطئ إلى اللهِ.. لأنّهُ بدُون سفكِ دَم لا تحْصلُ مَغفرة.. وهَذا كانَ وَعْدُ اللهِ بالفدَاءِ والتكفير عَن الخطايَا بَعْدَ طرْدِهِمَا مِنْ جَنّةِ عَدْن. وقِصّة الصليبِ ترتبط بوَعْدِ اللهِ لآدَم وحوّاء بَعْدَ سقوطِهمَا فى العِصْيَان.. لأنّ اللهَ كانَ قدْ دَبّر مُنذ الأزل أنْ يُبرّرَ آدَم ونَسلهُ.. وذلكَ بأنْ يتحَملَ شَخْصٌ آخَر عقابَ المَوتِ بديلاً عَن الجميع.. ليتمتعَ آدَم ونسلهُ بهبَةِ الحَياةِ الأبديّةِ أىْ التواجُدُ بحَضرتهِ الإلهيّةِ فى سَمَاهُ.[٣]

وتلكَ الذبَائح التى كانوا يُقدّمُونهَا كانتْ رَمْزاً للفدَاءِ الذى أعَدّهُ اللهُ لخَلاص البشَريّةِ بسَفكِ دَم الإبن الوَحيدِ على الصليبِ. ولقد أنجزَ اللهُ وعْدَهُ.. فمُنذ ألفى عَام تقريباً تمّ عَملُ الفدَاء ليتمتعَ بهِ كلّ مَنْ يُؤمِنُ.. وعَملُ الفدَاء الذى تمّ على الصليبِ أوقفَ بلْ أبطلَ ذبَائحَ العَهْدِ القدِيم.. فلمْ تعُدْ الآنَ تلكَ الذبَائحُ مقبُولة لدَى اللهِ بَعْدَ أنْ جَاءَ ابنُ اللهِ مُتجَسّداً إلى الأرْض وأتمّ بنفسِهِ عَملَ الفِدَاء.. والتقاريرُ المُسَجلة فى كلمَةِ اللهِ تشْرَحُ بدِقةٍ مَا عَانَاهُ ابنُ اللهِ المُتجَسّدُ مِنْ صِرَاع رَهيبٍ فى بُستان جَثسَيْمَانِى. ثمّ تأتى بَعْدَهَا المُحَاكمَةِ التعَسّفيّةِ التى تمّ فيهَا الحُكمُ عليْهِ.

فلقد أسلمَهُ بيلاطسُ الوَالى لجَلادينَ مِنَ العَسكر الرّومَان الذينَ جلدُوهُ بعُنفٍ. سَاخِرينَ مِنْهُ مُستهزِينَ وقدْ غرَسُوا فى جَبينِهِ إكليلاً مِنْ شَوكٍ. بَعْدَ ذلكَ أجْبَرُوهُ ليَحْمِلَ صليبَهُ عَابراً الطريقَ نحْوَ الجُلجُثة ليُنفذوا عَليْهِ حُكمَ المَوْتِ مَصلوباً. وهُناكَ ثقبُوا يَديْهِ ورجليْهِ بالمَسَامير. ولقدْ قامَ بذلكَ جُنودٌ رُومَان عُتاة ثبّتوا جَسَدَهُ على خَشَبةِ الصليبِ وبقىَ عليْهِ مُعلقاً لعِدّةِ سَاعَاتٍ والمُجتازُونَ يُسْمِعُونَهُ تجَاديف. ثمّ جَاءَ جُندِىّ رُومَانِىّ سَبقَ أنْ نفذَ حُكمَ الصّلبِ على كثيرين ولمّا نَظرَ إلى يَسُوعَ قالَ: لقدْ مَاتَ! وحتى يُعْطِى حُكماً مُؤكداً بمَوتِهِ طعَنَهُ بحَرْبَةٍ فى جَنبِهِ!.[٤]

إنّ الصليبَ هُو تدْبيرُ اللهِ للخَلاص كمَا كتبَ بُولسُ الرّسُول لمُؤمِنِى كولوسِى: **"لأنّهُ فيهِ سُرّ أنْ يَحِلّ كلّ المِلْءِ وأنْ يُصَالِحَ بهِ الكلّ لنفسِهِ عَامِلاً الصّلحَ بدَم صَليبِهِ".** ولمُؤمِنِى أفسُس كتبَ: **"ولكنْ الآنَ فى المَسيح يَسُوع أنتمْ الذين كنتمْ بَعيدينَ صِرتمُ قريبينَ بدَم المَسيح"**. وقدْ نتسَاءلُ: لمَاذا دَبّرَ اللهُ أمْرَ خَلاصِنَا بالصليبِ؟. والإجَابَة:

---

[١] رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى كولوسى ١: ١٩ – ٢٠ ، استمع إلى الإنجيل

[٢] سفر التكوين ٣: ١ – ٢٤ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٢: ٤ ، إنجيل لوقا ١٧: ١٠

[٣] سفر التكوين ١: ٢٧ ، الرسالة إلى العبرانيّين ٩: ٢٢ ، رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٥: ١٩

[٤] الرسالة إلى العبرانيّين ١٠: ٤–١٠ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى فيلبى ٢: ٦–١٠ ، إنجيل مرقس ١٤: ٣٢–٧١ & ١٥: ١–٤١

لقدْ دَبّرَ اللهُ أمْرَ خَلاصِنَا بالأسلوبِ الذى ارتآه بحِكمَتِه الإلهيّةِ.. وللأسَفِ اختارَ البشَرُ طرُقاً أخرى للخلاص من خطايَاهُمْ.. فبَعْضُهُمْ يكفرعَنْ سيئاته بحَسنَاتٍ وأصْوَام وصلَوَاتٍ.. أليسْتِ الحَسنَاتُ يُذهبن السّيئاتِ؟!. الحَقيقة أنّ الأعْمَالَ الصَالحَة مَقبولة لدَى اللهِ ومَطلوبَة مِنَ المُؤمِنينَ.. ولكنّهَا لا تكفرُ عَنْ سَيئاتِهِمْ.. فالأعمَالُ الصَالحَة التى نقدّمُهَا لا تعَالجُ مُشكلة السّيئاتِ التى نَرتكبهَا.

فاللهُ قدّوسٌ وعَادِلٌ يدينُ الخَطيّة ولا يَتجاوز عَنْ عِقابِ مُرتكبيهَا.. فإنْ كانتْ العَدَالة الأرْضيّة لا ترحَمُ قاتلاً لمُجَرّدِ أنّهُ اعترَفَ واستغفرَ وأعْلنَ توبتهُ.. ولوْ قدّمَ كلّ مَا يقتنيهِ نظيرَ جَريمَتِهِ فلنْ يَعفيهِ ذلكَ مِنَ العُقوبَةِ التى نصّ عليْهَا القانونُ.. نَعَم إنّ اللهَ غفورٌ رَحيمٌ ولكنْ رَحْمَةِ اللهِ لا تنفى عَدلهُ.. لذلكَ كانَ تدبيرُ اللهِ أنْ يتنازلَ الإبنُ مُتجَسّداً ويُسْفكُ دَمُهُ على الصليبِ. بذلكَ يَستوفِى العَدلُ الإلهى حَقهُ ويَصْبحُ للخَاطئ حَقّ نوَال رَحْمَةِ اللهِ وغُفرَانِهِ.[1]

إنّ يَسُوعَ المَسيحَ ابنَ اللهِ (غَيْر المَحْدُود) تحَملّ على الصليبِ قصَاصَ الخَطايَا لعَدَدٍ مِنَ البَشَر (غَيْر مَحْدُود) وبدَمِهِ دَفعَ ابنُ اللهِ المُتجَسّدُ الثمَنَ كلهُ.. وكلّ مَنْ يُؤمِنُ بهِ ينالُ رَحْمَة.. والعَدلُ الإلهى لا يقتصّ مَرتيْن.. فالقِصَاصُ تمّ مَرّة بواسطة القدّوس البَارّ غَيْر المحْدُود وهو ابنُ اللهِ المُتجَسّدُ.. وكلّ خاطئ بالإيمان يَنالُ رَحْمَة وتبْريراً وخَلاصاً وحَياة أبَديّة بقبُولِهِ عَملَ المَسيح الفدَائىّ.. فليْسَ خَلاصُنَا باستحقاق أعْمَالٍ فاضِلةٍ وجليلةٍ.. بلْ باستحقاق دَم كريم ثمين سَالَ على الصليبِ مِنْ أجلنَا.[2]

وقدْ يَسألُ سَائِلٌ كيفَ أحْصلُ على الخَلاص؟. الإجَابَة نلخّصُهَا فى ثلاثِ نِقاطٍ ليسْهلَ على القارئ العَزيز استيعَابُهَا:

أولاً: (١) أنْ يُدْركَ الإنسَانُ أنّ خطايَاهُ صَارَتْ فاصِلة بَيْنهُ وبيْنَ اللهِ.
(٢) وأنّ الخاطئ إنْ لمْ يَخلصْ مِنْهَا سَيَمكثُ عليْهِ غَضَبُ اللهِ ويكونُ مُستوجباً لدينونةٍ رهيبَةٍ فى نَار جُهنّم.
(٣) وأنْ يَعترفَ بأنّهُ عَاجزٌ وغَيْرُ قادِر على خَلاص نفسِهِ المُقيّدَةِ بالخَطيّةِ.
(٤) وأنّهُ مُحتاجٌ إلى قوّةِ اللهِ لخَلاصِهِ وتحْريرهِ لأنّه لمحبته لنا دبّرَ أمرَ خلاصِنَا وتحْريرنَا.[3]

ثانياً: (١) أنْ يُصدّقَ كلامَ اللهِ المُعلنَ بالكتابِ المُقدّس عَنْ مَحَبّةِ الآبُ السّمَاوىّ وقدْ بَذلَ الإبنَ الوَحيدَ على الصليبِ من أجلِهِ.. "لكىْ لا يَهلِكَ كلّ مَنْ يؤمِنُ بهِ بلْ تكونُ لهُ الحَيَاة الأبديّة".
(٢) أنْ يُعلنَ إيمَانَهُ بيَسُوعَ المَسيحَ الذى تحملَ قِصَاص خَطايَاه نَائِباً عَنهُ وأنهُ مَاتَ على الصليبِ ليفتديَهُ.

ثالثاً:(١) أنْ يَعتمِدَ بالمَاء لإعْلان إيمَانِهِ بعَمل اللهِ الفدَائِى.
(٢) ويَنضَمّ إلى جَمَاعَةِ المُؤمنينَ ليكونَ تلميذاً للمَسيح خَاضِعاً مَعَهُمْ لرُوح اللهِ القدّوس الذى سكنَ فيهِ بالإيمَان.
(٣) أنْ يَعكفَ على قرَاءَةِ الكلمَةِ والصّلاةِ ليعرفَ مَشيئَة اللهِ وإرادَتهُ ليُحققهُمَا فى حيَاتِهِ..
(٤) وأنْ تكونَ حيَاتهُ شهَادَة حَيّة لمَا أعلنَه فى اختبَارهِ أمَامَ الآخَرينَ.
(٥) وأنْ يَطلبَ مُشتاقاً مُنتظراً سُرْعَة مَجيءِ الرّبّ الذى وَعَدَ أنّهُ سيأتى ثانيَة ليدينَ الأحْيَاءَ والأمْوات وليَأخُذ المَفديّينَ بدَم يَسُوعَ الطاهِر إلى السّمَاءِ ليَستمتِعُوا طِوَالَ الأبديّةِ بالأمْجَادِ البَهيّةِ مَعَ المَلائكةِ والقدّيسينَ.[4]

عزيزى القارئ.. إنّ قِصّة الصليبِ هى قِصّة الحُبِّ العَجيبِ.. حُبٌ اتجَهَ مِنْ قلب اللهِ المُحِبّ إلى قلبِ الإنسَان الخَاطئ مِنْ أجل خَلاصِهِ.. فلا خَلاصَ بغَيْر الصليبِ. بلْ هَلاكٌ وتعَاسَة أبَديّة.. ليتكَ أخى تشتركُ مَعِى فى تلكَ الصَلاةِ: أبَانَا السّمَاوىّ.. أشكرُكَ مِنْ أجل حُبكَ لِخَاطئ نظيرى فلقدْ نقلتنِى بالصليبِ مِنْ قيُودِ الخَطيّةِ إلى حُريّةِ أولادِ اللهِ. ومِنْ الهَلاكِ الأبدِىّ إلى الحيَاةِ الأبَديّةِ.. هبنِى قوّة وحِكمَة لأشْهَدَ لِعَمل نِعْمتِكَ.. إذ نقلتنِى مِنَ الظلمَةِ إلى النّور.. أرفعُ صَلاتِى فى اسْم يَسُوعَ الذى أحبّنى مَحبّة عَجيبة بَاذلاً دَمَهُ مِنْ أجلِى على الصليبِ وافتدَانِى.. واثقاً بوَعْدِكَ الصّادِق يَا مَنْ قلتَ: مَنْ يُقبلْ إلىّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخى القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سَمَاع تلكَ الرِّسَالة أو غَيْرهَا ستجدُ ذلكَ فى:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى فيلبى ٣: ٩ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٢: ٨
[2] رسالة بطرس الرسول الأولى ١: ١٨ – ٢٠
[3] إنجيل متى ٢٥: ٣١: ٣٤ ، إنجيل يوحنا ٣: ١٦ – ٢١
[4] إنجيل مرقس ١٦: ١٦، أعمال الرسل٢: ٤٧، رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ٤: ١، رسالة بطرس الرسول الأولى٣: ١٢